وسائل الاستغراق في الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (عليه السلام) دراسة نحوية دلالية

Mechanisms of Totality in the Al-Ṣahīfah al-Sajjādiyyah by Imam Zayn al-'Abidīn (Peace Be Upon Him): A Grammatical and Semantic Study

تبارك هيثم عبد الامير أ.م.د حيدر عبد الرسول عوض

جامعة بابل جامعة بابل/كلية الاداب

tebarakaljeborey@gmail.com hayderawadh@yahoo.com

الملخص:

تناول البحث بالدراسة وسائل الاستغراق في الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام)، فللاستغراق، في اللغة العربية، وسائل لغوية متعددة تدل عليه، ومنها: ألفاظ العموم، مثل: (كل، جميع، عامة، كافة)، ومنها: (لا) النافية للجنس، و(أل) الجنسية، وأسماء الشرط، مثل: (مَن، ما، مهما)، والأسماء الموصولة، مثل: (من، ما)، ومنها: مجيء النكرة في سياق النفي، وغير ذلك من الوسائل. وتأتي أهمية البحث من أمرين: الأول: ندرة الدراسات التطبيقية للاستغراق ووسائله، والآخر: أن هذه الدراسة تعدّ الدراسة الوحيدة في تطبيق هذه الوسائل على نصوص الصحيفة السجادية ذات المنزلة الرفيعة واللغة السامقة، فشملت الدراسة جميع الأدعية والمناجيات الواردة في الصحيفة، كاشفة عن أثر الأدوات النحوية والبلاغية في تحقيق معنى الاستغراق في أدعية الإمام عليه السلام، ومبينة دلالتها على العموم والشمول وأثر هذه الدلالة في خدمة النص الدعائي، وهو الهدف الأساسي من هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الصحيفة السجادية، الاستغراق، الشمول، العموم، الامام زين العابدين.

Abstract:

This study explores the linguistic and rhetorical mechanisms of totality (istighrāq) in _Al-Ṣaḥīfah al-Sajjādiyyah_ by Imam Zayn al-ʿĀbidīn (peace be upon him). Totality is expressed through various grammatical tools and stylistic devices. Among these are: universal quantifiers (such as _jamīʿ_, _ʿāmmah_, _kāffah_), the generic definite article (_al-jinsiyyah_), the referential definite article (_al-ʿahdiyyah_), conditional nouns (_man_, _mā_, _mahma_), relative pronouns (_man_, _mā_), and indefinite nouns in contexts of negation or when accompanied by descriptive qualifiers. The study also distinguishes between generalization and specification in terms of meaning and semantic scope. Its significance lies in being the first of its kind applied to this revered text, encompassing all the supplications and whispered prayers it contains. The research clarifies how grammatical and rhetorical tools contribute to the meaning of totality in the

Imam's prayers, highlighting their role in conveying universality and inclusiveness, and demonstrating their function in enhancing the devotional discourse—an essential aim of this study.

Keywords: Al-Ṣaḥīfah al-Sajjādiyyah, totality, inclusiveness, generalization, specification.

توطئة

الاستغراق لغة واصطلاحا

الاســتغراق لغةً: من (غَرق) وهو أصــل يدل على ((انتهاء في شــيء يبلغ أقصــاه. من ذلك الغرق في الماء))[1] ، فيدل على الاستيعاب والإحاطة[2].

واصـطلاحاً : هو اسـتيفاء شـيء بتمام أجزائهِ وأفرادهِ ، واسـتغراق اللفظ أن يُراد به كل فرد مما يتناوله بحسب اللغة أو الشرع أو العرف الخاص ، وهو الاستغراق الحقيقي ، ومثالهُ قوله تعالى:﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ ﴾[3] أي : عالم كلّ غيبٍ وشـهادة، أو أن يُراد به كلّ فرد مما يتناوله بحسب متفاهم العرف، وهو الاستغراق العرفي ومثاله: جمعَ الأميرُ الصـاغة، أي: جمع كل صـاغة بلدهِ أو مملكتهِ لا صـاغة الدنيا [4]. وأغلب ما وردَ في الصـحيفة السـجادية هو من نوع الاسـتغراق الحقيقي، وعرفه الجرجاني بأنه الشمول لجميع الافراد[5]

وبهذا فالاستغراق عكس الاختصاص الذي يفيد تخصيص أفراد بعينهم دون غيرهم، فهو للإيضاح والبيان، والاستغراق للإبهام والغموض، ويحتاج إلى قرائن لتخصيصه.

ولا بدّ من الإشـارة إلى أننا اخترنا عنوان (وسـائل الاسـتغراق) بدلاً من (أسـاليب الاسـتغراق) لأن الاستغراق ليس أسلوبا ، فالأساليب في العربية معروفة كأسلوب الاستفهام ، والنفي ، والتعجب .. الخ

وأما الاستغراق فهو غرض يقصده المتكلم ويؤديه بوسيلة من الوسائل، كأن تكون لفظ: كلّ وأخواتها أو (ال) الجنسية أو النكرة في سياق النفي وغيرها من الوسائل التي سنوضحها ونبين مقاصدها ودلائلها في خضم هذا البحث إن شاء الله تعالى.

---

(1) مقاييس اللغة: 4/ 418(غرق).

(2) ينظر: الصحاح ، الجوهري: 4/ 1536(غرق).

(3) سورة الأنعام: 73.

(4) ينظر: دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد الرسول الأحمد نكري: 76/1.

5 ينظر: كتاب التعريفات: 24

المبحث الأول :كلّ وأخواتها

تعد كلّ وأخوتها من ألفاظ العموم المباشرة ، التي يقع تحتها جميع أفراد الجنس المستفاد، وهي تقع ضمن موضوع التوكيد بقسمه المعنوي، ويسمى توكيدها بتوكيد الإحاطة ويُراد به: ((رفعُ توهمُ أن يُراد بعموم المتبوع الخصوص))[6] ويعرّف أيضاً بأنهُ ((لتقرير شمول النسبة ، وهو بأن يكرّر من حيث المعنى ما فُهمَ من المتبوع تضمناً ، وذلك بكلا وكلتا وأجمع وثلاثتهم وأربعتهم))[7] .

ومعنى توكيد الشمول والإحاطة ((أنكَ إذا قلت (قامَ القومُ) احتمل ظاهر مفهومه ، واحتمل أن يكون القائمونَ بعض القوم لا جميعهم ، فأكدت المعنى الأول ، وهو معنى شمول اللفظ لجميع ما يدلّ عليهِ وأثبتَّ أنهُ المراد))[8] .

ولمّا كانت هذه الألفاظ تؤكد على جهة التعميم حقيقةً أو مجازاً لم يؤكَّد بها إلا ما يتبعّض ويتجزّأ ، والتجزّيء تارةً يكون بالذات، كما وردَ في الصحيفة السجادية (وحبَّ كلِّ عملٍ يوصلني إلى قربكَ) [9] وتارة يكون بالعامل ، ومما ورد منه قوله عليه السلام (يا من كلُّ هاربٍ إليه يلتجئ ، وكلُّ طالبٍ إياه يرتجي)[10] . فـــ (هارب) و (طالب) تدلّان على العبد أو الإنسان، والإنسان بالنسبة للرؤية ذو أجزاء يصحُّ رؤية بعضها ورؤية كلها [11].

أولاً : كلّ

كلّ: هو اسم موضوع لاستغراق أفراد المُنكر[12]، قال φ: (أنت المُسبَّحُ في كلِّ مكان ، والمعبودُ في كلِّ زمان ، والموجودُ في كلِّ أوانٍ)[13] فنلاحظ أنّ لفظة (كلّ) أفادت استغراق جميع الأمكنة والأزمنة واستغراق المعرّف المجموع ، ومن ذلك ما ورد في قولهφ : (كلُّهم صائرونَ إلى حكمكَ وأمورهم آيلةٌ إلى أمركَ)[14] فنلحظ أنّ المراد من قوله المذكور آنفا عموم الجنس المستفاد من لفظة (كلّ) التي أفادت الاستغراق وتردُ (كلُّ) بلحاظ كلِّ واحدٍ مما قبلها وما بعدها ((بأن تكون

---

[6] المقاصد الشافية ، الشاطبي: ٥/٢ .
[7] شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، الرضي الاستراباذي: 105/2 .
[8] المقاصد الشافية: ٥/٧ .
[9] الصحيفة السجادية ، مناجاة المحبين :٣١٤ .
[10] الصحيفة السجادية ، مناجاة الراجين: ٣٠٠.
[11] ينظر : التذييل والتكميل، أبو حيان الاندلسي: 12/ 185.
[12] ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: 218/1
[13] الصحيفة السجادية ، مناجاة الذاكرين: ٣٢٣ .
[14] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) في يوم الفطر: ٢٠٣ .

توكيداً لمعرفة ، قال الأخفش والكوفيون : أو لنكرة محدودة ، وعليهما ففائدتها العموم ، وتجب إضافتها إلى اسم مضمر راجع إلى المؤكَّد))[15] .

و(كل)((حكمها الإفراد والتذكير ، وأن معناها بحسب ما تضاف إليه ، فإن كانت مضافة إلى مُنكّر وجبَ مراعاة معناها))[16] لذلك جاء الضمير مفرداً مذكراً في قولهφ : (وقطعتَ عنهُ كلِّ شيءٍ يقطعهُ عنك)[17] فالضمير (الهاء) في (يقطعه) يطابق في الإفراد والتذكير لفظ (شيء) ومفرداً مؤنثاً نحو قولهφ : (وتولَّ قضاءَ كلِّ حاجةٍ هي لي بقدرتِكَ عليها)[18] فالضمير المنفصل(هي) يطابق في الإفراد والتأنيث لفظة (حاجة) .

وأما إذا كانت (كلّ) مضافة إلى معرفة ، يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها ، نحو قولهφ : (فكلُّ البريةِ معترفةٌ بأنكَ غير ظالمٍ لمن عاقبت)[19] فنلحظ عدم ورود ضمير المطابقة؛ لأن مراعاة اللفظ والمعنى جائزة ، ومنه قوله عليه السلام: (ومدحي إيّاكَ وحمدي لكَ في كلِّ حالاتي حتى لا أفرحَ بم آتيتني من الدنيا)[20] .

وأمّا المقطوعة عن الإضافة ، فنحو قوله عليه السلام: (من وحّدكَ ومن كفرَ بك ، وكلٌّ ذائقُ الموتِ وكلٌّ صائرٌ إليكَ)[21] أريدَ بها التفصيل فقطعت عن الإضافة ونوّنت.

دلالةُ كلّ

ذكرنا أن (كلّ) تدل على الاستغراق المباشر، بتأكيد ما وقعت عليه والدلالة على عمومه دون استثناء للأفراد والأجزاء ، نحو قوله φ: (وامنعني عن أذى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ومسلمٍ ومسلمةٍ)[22] فهذا استغراق وإحاطة بجميع أفراد المؤمنين والمسلمين ، فإذا أُضيفت إلى نكرة أفادت استغراق كلّ أفراد الجنس ، وأما إذا أُضيفت إلى معرفة ، فإن كانت المعرفة عامة استغرقت كل الأفراد ، ومن ذلك قوله عليه السلام: (أصبحنا وأصبحتِ الأشياء كلُّها بجملتِها لكَ)[23] وإذا كانت معهودة ، نحو (وأنت الذي اتَّسعَ الخلائقُ كلُّهم في وسعهِ)[24] فإنّها هنا استغرقت كلّ الأفراد المعهودين (الخلائق) وإنَّ (كل)إذا تقدمت تقتضي الإحاطة بالجنس ، وإذا تأخرت وكانت توكيداً اقتضت الإحاطة بالمؤكَّد خاصة ، جنساً شائعاً كان أو معهوداً .

---

[15] مغني اللبيب: 1/ 218.

[16] المصدر نفسه: 1/ 220.

[17] الصحيفة السجادية ، مناجاة المحبين: ٣١٣ .

[18] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) في يوم الأضحى ويوم الجمعة: ٢٣٦ .

[19] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر: ١٥٨ .

[20] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) إذا أحزنه أمر وأهمته الخطايا: ٩٨ .

[21] المصدر نفسه، من دعائه (ع) في الإلحاح على الله تعالى: ٢٥٦ .

[22] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في طلب العفو والرحمة: ١٦٣ .

[23] المصدر نفسه، من دعائه (ع) عند الصباح والمساء: ٤١ .

[24] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) إذا استقال من ذنوبه وتضرع في طلب العفو عن عيوبه :٧١ .

وقد نبه بعض علمائنا القدماء على الفرق بين (كل) إذا متقدمة، أو كانت مؤكِّدة وهو: أنّها إذا تقدمت أفادت العموم ابتداءً ، ولم تدع احتمالاً لغير الإحاطة، وإذا تأخرت وكانت مؤكِّدة أُحتمل الكلام العموم وغيره ، ثم تجيء بها بما يرفع احتمال عدم العموم . ثمَ إنّها مع التقدم يمكن التعبير بها للدلالة على الإحاطة والشمول بصورة أوسع مما تقع مؤكِّدة ، فإنّها إذا وقعت مؤكِّدة أفادت العموم في المعارف فقط ، أما إذا تقدمت ، فإنّها تفيد العموم في النكرات والمعارف ، مفرداً أو غيره مما لا يصـحُّ أن يقع مؤكداً[25] ، ومن ذلك قولهφ : (وإِذْ كُلُّ نِعَمِكَ ابْتِدَاءٌ) [26]ولم يقل: نعمك كلها.

ثانياً :جميع

تُستعمل (جميع) لغير المثنى ، وهو الجمع مطلقاً ، والمفرد بشرط أن يتجزأ بنفسهِ أو بعاملهِ ، نحو : جاءَ القومُ جميعُهُم . ويجب اتصال لفظة (جميع) بضمير المؤكَّد لفظاً ليحصل الربط بين التابع والمتبوع ، نحو قوله عليه السلام (وقادةِ أهل التقى على جميعِهِم السلام)[27] فرُبط بين المؤكِّد والمؤكَّد بالضمير (هم) للدلالة على عموم الجنس المستفاد . و(جميعهم) ((على وجهين ، يوصَفُ بهِ المضمرُ والمظهرُ كما يوصَفُ بـــــ(كلّهم) ويُجرى في الوصف مجراه ، ويكون في سائر ذلك بمنزلة عامّتهم وجماعتهم ، يُبتدأ ويُبنى على غيرهِ ، لأنه يكون نكرة تدخله الألف واللام))[28] وليس من التوكيد نحو قوله عليه الســـلام: (وأهلُ ديننا جميعاً من ســـلفَ منهم ومن غبرَ إلى يوم القيامة)[29] لعدم وجود الضـمير الرابط بينهما[30] ، قال ابن مالك: ((وأغفلَ أكثرُ النحويين (جميعاً) ونبّه سـيبويه على أنها بمنزلة (كلّ) معنًى واستعمالاً ، ولم يذكر له شاهداً من كلام العرب))[31] .

وتســتعمل (جميعاً) على ثلاثة أوجه : إمّا مقطوعةً عن الإضــافة، وتعرب: (حالاً)، وقد ذكرت سابقاً بأنّها ليست بتوكيد لعدم وجود الضمير . وأما اذا كانت الإضافة لغير توكيد ، نحو قولهφ : (وفي جميعهِ انهماكاً مني على معاصيك)[32] وإما اذا كانت الإضافة للتوكيد كقوله عليه السلام (وجعلَ لنا

---

[25] ينظر : بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية: 1/ 213-213 ، ومعاني النحو ، د .فاضل صالح السامرائي: 4/ ١٣٨- 143.

[26] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في خواتيم الخير: 62.

[27] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم :٣٣ .

[28] الكتاب ، سيبويه :116/2.

[29] الصحيفة السجادية، من دعائه (ع) في وداع شهر رمضان: ٢٠٠ .

[30] ينظر : شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري: 134/2.

[31] شرح الكافية الشافية: 1171/3.

[32] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في دفع كيد الأعداء ورد بأسهم: ٢٤٧ .

الفضيلةَ بالملكةِ على جميعِ الخلقِ)[33] فأفادت (جميع) التوكيد واستغراق جميع جنس الخلق . وهذا الوجه هو أقل الثلاثة .[34]

دلالة جميع

تدلُّ (جميع) على تأكيد ما قبلها واستغراقها لعموم الجنس المستفاد، كسابقتها (كلّ) ، والفرق بين (جميع) المتصـلة بضـمير نحو: (جميعهم ، جميعنا)، و (جميع) غير المتصـلة بضـمير، يتجلى في أنّ المتصـلة بضـمير لا تكون إلا توكيداً بمعنى (كلّ) كقوله φ: (وقَادَةِ أَهْلِ التُّقَى ، عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّـلَامُ) [35]، في حين أن (جميع) غير المتصلة بضمير قد تكون بمعنى (كلّ) وقد تكون بمعنى (مجتمع) وقد تحتمل المعنيين معاً، نحو قوله عليه السلام: (اللهمّ تجاوز عن آبائِنا وأمهاتنا وأهل ديننا جميعاً من سلفَ منهم ومن غبرَ إلى يوم القيامة)[36] . فهذا القول يحتمل معنيين :

الأول : أن يكون بمعنى (كلّ) فيكون المعنى : اللهمَّ تجاوز عنهم كلّهم .

الثاني : أن يكون بمعنى (مجتمع) فيكون المعنى : اللهمَّ تجاوز عنهم مجتمعينَ .

وقد يُراد المعنيان معاً ، أي : تجاوز عنهم كلهم مجتمعين ، فبعدولهِ إلى المفردة كسبَ المعنيين معاً ، ولو قالَ (تجاوز عنهم جميعهم) لأفاد معنىً واحداً فقط ألا وهو (كلّهم) .

وهذا من أوجه الفرق بين (كلّ) و (جميع) فإنّ (كل) تفيد العموم حيث وقعت ، وكيفما كانت ، وليست كذلك (جميع)[37] .

ثالثا : ألفاظ (عامّة ، كافة)

هما لفظان يدلّان على اسـتغراق جميع أفراد الجنس وشـمولهما ما يقع تحتهما ، وهما مثل: كلّ وجميع من حيث ربطهما بضـمير يطابق المؤكَّد في حالات التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع . ومن أمثلتهما في الصحيفة السجادية قوله عليه السلام (وأتولَّى بالبرِّ عامَّتهم)[38] فدلّت (عامّة) على استغراق عموم الجنس الواقعة عليه .

ومثال (كافة) قوله عليه السلام (وأستعملُ حُسنَ الظنِ في كافِتِهم)[39] فأفادت (كافة) توكيد عموم أفراد الجنس. والعربَ استعملت في ألفاظ التوكيد وزن (فاعِلة) مبنياً من لفظ (عَمَّ) فأكدوا بهِ ،

---

(33) المصدر نفسه ، إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه :٢٢ .

(34) ينظر : شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: 105/4 .

(35) الصحيفة السجادية ، من الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم: 42.

(36) الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في وداع شهر رمضان: ٢٠٠ .

(37) ينظر : معاني النحو : 4/ ١٤٤_١٤٥.

(38) الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم: ١١٩ .

(39) المصدر نفسه ، من دعائه (ع) لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم: ١١٩ .

و (فاعِلة) من (عَمَّ) تقول فيه : عامَّة . ولمّا كانت ككلّ فلا بدّ فيها من الإضـافة إلى الضـمير ، فنقول قامَ القومُ عامَّتُهم (وقولهم) مثل النافلة (أُريدَ بهِ أنّهم اســتعملوا وزن) فاعِلة (من) عَمَّ (مثل اســتعمالهم إياه من (نَفَلَ) فقالوا : النّافلة فكذلك قالوا : عامَّة ، وفسّــر ابن الناظم قول ابن مالك: (مثل النافلة) بأنّه: يريد عدَّ (عامَّة) من ألفاظ التوكيد مثل النافلة، أي إنها زائدة على ما ذكره النحويون في هذا الباب، فإنّهم أغفلوا ذكرها [40] وهي في الحقيقة ليســت بنافلة على ما ذكروه في هذا الباب، لأنها مذكورة عند كثير من النحويين ومنهم سيبويه الذي لم يغفل ذكرها[41]

وقد أُثبتت في ألفاظ التوكيد (جميعاً، عامَّة) مضافين إلى المضمر كـــ: (كلٍّ)، وذكر الشاطبي أنّ بعضـهم خالف في (عامَّتهم) ونفى أن تكون عن ألفاظ التوكيد، لأنه يرى أن (عامَّة) أقلُ مما جرى عليه؛ فإذا قلتَ: جاءَ القومُ عامّتُهُم ، فـــ (عامّتهم) أقلُ من القومِ. ومن ثم فلا يؤكَّد الشيء ببعضه، وذهب إلى أنه يكونُ بدلاً. وقيل: إن أصل (عامَّة) العموم ، وهي مشتقة من عَمَمتهُ ، فهي إذن أصلها وبابها العموم ، ثم استعملها بعضهم في الكثير فالصواب إثباتها[42].

المبحث الثاني : ال الجنسية

تقسّم (ال) التعريف على قسمين رئيسين هما :

أولا : ال الجنسية

ثانيا : ال العهدية

وتتفرع كلّ منهما إلى فروع عدة فـ (ال) الجنسية ثلاثة أقسام وهي[43] :

1- تعريف الماهية
2- استغراق الأفراد
3- استغراق خصائص الأفراد

و (ال) العهدية تنقسم على ثلاثة أقسام هي :

1) العهد الذِّكري
2) العهد العلمي
3) العهد الحضوري

---

[40] ينظر: شرح ابن الناظم: 359.
[41] ينظر: كتاب سيبويه: 1/367-377،
[42] ينظر: المقاصد الشافية: 5/12-13.
[43] ينظر: همع الهوامع، السيوطي: 1/274-275.

وذكروا أنّهُ يعرضُ في العهدية الغلبة ، ولمح الصفة . فالتي للغلبة كالبيت للكعبة ، والنجم للثريا ، دخلت لتعريف العهد ثم حدثت الغلبة بعد ذلك ، والتي للمح الصفة لم تدخل أولاً على الاسم للتعريف؛ ذلك لأن الاسم علمٌ في الأصل لكن لُمحَ فيه معنى الوصف ، فسقطَ تعريف العلمية فيه ، وإنما أنت تريدُ شخصاً معلوماً ، فلم يكن بدّ من إدخال (ال) العهدية لذلك[44].

ومما تقدّم أن الفرق بين (ال) العهدية والجنسية بمصحوبها فالعهدية ((يُراد بمصحوبها فرد معين .والجنسية يُراد بمصحوبها كلّ الأفراد حقيقةً أو مجازاً، والتي لتعريف الحقيقة يُراد بمصحوبها نفس الحقيقة ، لا ما تصدقُ عليهِ الأفراد))[45] .

تقسم (ال) **الجنسية** كما أسلفنا على ثلاثة أقسام ، وسنبين كلّا منها بالتفصيل:

أ _تعريف الماهية : وهي التي لا تفيد معنى الاستغراق والشمول ، بل تركز على ماهية الشيء وحقيقتهِ ولا تخلفها (كلّ) لا حقيقةً ولا مجازاً[46] ، منها قوله عليه السلام: (يا مجيبَ المضطرِّ ، يا كاشفَ الضرِّ ، يا عظيمَ البرِّ ، يا عليماً بما في السّرِّ)[47] ف (ال) في كلٍّ من (المضطر ، الضر ، البر ، السر) دلّت على ماهية هذه الأشياء وحقيقتها ، فلا يمكننا أن نقول: (كلّ المضطرِّ) أو (كلّ السرِّ) أيضاً قوله عليه السلام (سبحانكَ ترى ما في قعر الماءِ)[48] ف (ال) دلّت على حقيقة الماء ، فلا يمكننا القول: (كلّ الماءِ) .

ب _استغراق الأفراد : هي التي لتعريف الجنس، فتدخل على اسم واحد من جنس فتكون تعريفاً لجميعه لا لواحدٍ منهُ بعينهِ ، وتخلفها (كلّ) حقيقةً لا مجازاً[49] ، ومن أمثلتها قوله عليه السلام : (إلهي إليكَ أشكو نفساً بالسُّوءِ أمارةً ، وإلى الخطيئةِ مبادرةً)[50] ف (الخطيئة) هي اسم معبر عن جميع الخطايا ويصحُّ أن نقول: (كلّ الخطايا) ومنه أيضاً قولهφ : (إنما يعجلُ من يخافُ الفوتَ ، ويحتاجُ إلى الظّلمِ الضعيف)[51] ف (الضعيف) اسم جامع لكلِّ أجناس الضعفاء ، ويصحُّ أن تخلفهُ (كلّ) حقيقةً ونحو قولهφ : (حمداً يعجزُ عن إحصائهِ الحفظةُ ، ويزيدُ على ما أحصتهُ في كتابكَ الكتبةُ)[52]ف (ال) في (الحفظة) و (الكتبة) تفيد استغراق جميع أجناس الملائكة الحفظة والكتبة .

---

(44) المصدر نفسه: 1/ ٢٧٤_٢٧٥ .

(45) الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي: ١٩٥ .

(46) ينظر : همع الهوامع: 1/ 751 .

(47) الصحيفة السجادية ، مناجاة التائبين: ٢٩٣ .

(48) الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في التسبيح :٢٦٤ .

(49) ينظر : اللامات ، الزجاجي ٤٣ ، وهمع الهوامع : 1/ ٢٧٥ .

(50) الصحيفة السجادية ، مناجاة الشاكين : ٢٩٤ .

(51) المصدر نفسه ، من دعائه (ع) مما يحذره ويخافه: ٢٧٤ .

(52) الصحيفة السجادية، من دعائه (ع) في يوم عرفة :٢١١ .

ج _استغراق خصائص الأفراد : هي التي تفيد استغراق أو شمول خصائص أو صفات الأفراد مبالغةً في المدح أو الذم ، أي لا تفيد استغراق جنس الأفراد ، بل استغراق صفات فرد معين من الأفراد ، وهي التي تخلفها (كلّ) مجازاً[53] ، وممَّا وردَ منها في الصحيفة السجادية قولهφ : (الحمدُ للهِ الأوّل بلا أولٍ كانَ قبلهُ ، والآخر بلا آخرٍ يكونُ بعدهُ)[54] أي :استغراق صفة الأوّل والآخر في الخالق عزّ وجلّ .كذلك قوله عليه الصلاة والسلام (مولايَ مولاي ، أنتَ المولى وأنا العبدُ ، وهل يرحمُ العبدَ إلا المولى)[55]فتفيد (ال) هنا استغراق صفة السيادة للخالق عزّ وجلّ وصفة العبودية للمخلوق.

وتختص (ال) الجنسية التي لاستغراق الأفراد بعلامات معينة تميزها عن باقي الأنواع ، منها: قيام الألف واللام فيها مقام (كلّ) وجواز الاستثناء من الاسم المعرف بها مع كونه بلفظ المفرد وجواز وصفه بجمع أيضاً ، ولمصحوب هذه الألف واللام جمعيّة وتنكير من جهة المعنى . وإفراد وتعريف من جهة اللفظ . فلواصفهِ مراعاةُ اللفظِ ، ومراعاة المعنى ، إلا أنّ مراعاة اللفظ أكثر .[56]

ومن ذلك قوله عليه السلام (فلا توّلني الحرمان ، ولا تبليني بالخيبةِ والخسران)[57] ف (ال) الداخلة على (الحرمان ، الخيبة ، الخسران) أفادت استغراق جميع أنواع الحرمان والخيبات والخسارات ، ويجوز أن تقوم (كلّ) مقام (ال) التعريف فنقول : كلّ خيبةٍ وكلّ خسرانٍ . وعلى سبيل المثال لا الحصر إذا أخذنا لفظة (الخيبة) فنلحظ جمعا وتنكيرا من ناحية المعنى ، وإفرادا وتعريفا من ناحية اللفظ . والأمر كذلك يسري على بقية الأمثلة.

ويُوصَفُ المعرف ب (ال) الجنسية بمعرفة وذلك مراعاةً للفظهِ لأنه دالّ على المعرفة من حيث اللفظ ، وأحياناً أخرى يُوصفُ بنكرةٍ أو بجملةٍ وذلك مراعاةً لمعناه لأنه دالّ على الجمع والتنكير من حيث المعنى .

ومثال ما وُصِفَ بالمعرفة قوله عليه الصلاة والسلام : (أسألُكَ يا غافرَ الذنبِ الكبيرِ ويا جابرَ العظمِ الكسيرِ)[58] فالاسم الذي أفاد العموم وهو (الذنب) وُصفَ بالمعرفة وهي قوله: (الكبير) كذلك كلمة (العظم) وصِفت بالمعرفة (الكسير).

---

(53) ينظر : همع الهوامع : 1/ ٢٧٥ .

(54) الصحيفة السجادية ، إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل: ١٩ .

(55) المصدر نفسه ، من دعائه (ع) في التذلل: ٢٧٥ .

(56) ينظر : شرح الكافية الشافية ، ابن مالك : 1/322-323.

(57) الصحيفة السجادية ، مناجاة المتوسلين: ٣١٦ .

(58) الصحيفة السجادية ، مناجاة التائبين: ٢٩٢ .

دلالة (ال) الجنسية

الجنس هو الذي يشتمل على أفراد كثيرين ، كالرجل ، والمرأة ، والإنسان ، والدرهم ، والدينار وكلّ كلمةٍ من هذه تصدق على أفراد كُثر، فإذا دخلت (ال) على الجنس فيكون القصد :

1- الجنس دون النظر إلى الأفراد .

2- أو فرداً غير معيّن .

3- أو جميع الأفراد ، إمّا حقيقةً ، وإمّا عرفاً .

ولبيان ما تقدّم سنتناول كلّا منها بالشرح والتفصيل :

1- القصد الجنس دون النظر للأفراد : نقول : الرجلُ خيرٌ من المرأةِ، فإنّنا لا نقصدُ هنا: رجلاً معيناً، وإنما نقصد جنس الرجال، ولا نقصدُ امرأةً معينة ، وإنّما نقصدُ جنس النساء ، هذا من جهة ، ومن جهةٍ أخرى، فإنّنا لا نقصدُ أنّ كلَّ رجلٍ خير من كلِّ امرأةٍ ، فلا نقصدُ الاستغراق وتعميم هذا الحكم ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (إلهي إن كانَ الندمُ على الذنبِ توبةً ، فإنّي وعزتكَ من النّادمينَ)[59] فالمقصود ليسَ ذنباً بعينهِ بل يريد واحداً غير معين من هذا الجنس المعلوم . ونحو قولهφ : (اللهُمّ واجعلنا في سائرِ الشّهورِ والأيامِ كذلك ما عمرّتنا)[60] وهنا أيضاً لم يقصد شهوراً وأياماً بعينها ، بل عنى سائر الشهور والأيام بدعائهِ .

2- القصد منها فرد غير معيّن من أفراد الجنس : ومن ذلك قوله عليه السلام: (وشرَّ مصائدِ الشيطانِ ، ومرارةَ صولةِ السُّلطانِ)[61] فإنّ (ال) في (السلطان) ليس مقصوداً بها الحقيقة ، إذ لا يعقل ذلك ، وهي كذلك لا تدلُّ على سلطانٍ معين ، بل المقصود أي سلطانٍ من السلاطين . ومنه أيضاً قوله عليه السلام (وإنّما يحتاجُ إلى الظُّلم الضعيفُ)[62] فالمقصود فرد غير معيّن من أفراد الجنس ، أي: (الضعفاء) وليس ضعيفاً بعينه، وهذا القسم _ وإنّ كان معرفةً من حيث اللفظِ لأن فيه ال _لكنه نكرة من حيث المعنى ، لأنّهُ لم يُقصد به واحد معين ، ومن المعلوم أنّ المعرفة إنّما تدلُّ على فرد معيّن ، والذي نتحدث عنهُ ليس كذلك فهو معرفةً لفظاً ، نكرةً معنى.

3-القصد منها الاستغراق: وهذا الاستغراق نوعان :

أ **_حقيقي** : يشمل كل الأفراد ، ومنه قوله عليه السلام: (أم وقتُ العلةِ التي محصتني بها)[63] ف (ال) في (العلة) للاستغراق ، أي: تشمل جميع أنواع العلل . وهذه (ال) هي التي يصلحُ أن يوضع مكانها (كلّ) ومنه أيضاً قولهφ : (ويا من لا يغيّرُ النعمةَ ، ولا يبادرُ بالنقمةِ ، ويا من يُثمر الحسنةَ

---

[59] الصحيفة السجادية ، مناجاة التائبين: ٢٩٢ .

[60] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) إذا دخل شهر رمضان: ١٨٦ .

[61] الصحيفة السجادية، من دعائه (ع) لنفسهِ وأهل ولايتهِ: ٣٨ .

[62] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) في يوم الأضحى ويوم الجمعة: ٢٤٠ .

[63] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) إذا مرض أو نزل به كرب أو بلية: ٦٨ .

حتى يُنميها ، ويتجاوز عن السيئةِ حتى يعفّيها)[64] ف (ال) في كلٍّ من (النعمة ، النقمة ، الحسنة السيئة) هي للاستغراق الحقيقي الذي يفيد شمول الجنس ، ويصحّ أن نستبدلها ب (كلّ) فنقول : كلُّ نعمةٍ ، كلُّ نقمةٍ ... ونحو قولهφ : (أتيتكَ مقرّاً بالجرمِ والإساءةِ إلى نفسي)[65] فهنا ليس المقصود جرما أو إساءة بعينها بل جميع أجناس الجرم والإساءات ، وقد تحقق ذلك بعد دخول (ال) الجنسية الاستغراقية عليها .

ب ـ عرفي : هو ما يدلُّ على جميع الأفراد ، ولكن من حيث العرف ، فمثلا يقول الأستاذ لأحد الطلبة : اجمع الطلاب ، لا تدع منهم أحداً ، فالمعنى هنا : اجمع كل الطلاب ، ولكن لا يتصور أحد أنّه سيجمع الطلاب في جميع المدارس والجامعات، وإنّما طلاب فصله أو مدرسته[66] ، ومنه قوله عليه السلام: (وجعلتَهُم الوسيلةَ إليكَ والمَسلكَ إلى جنتِك)[67] ف (الوسيلة) و (المسلك) هنا يعبران عن أهل بيت النبوة (عليهم السلام) وهذا الشيء متعارف عليه بين الناس ، فأفادت (ال) هنا الاستغراق العرفي .

بعد أن فصّلنا الحديث عن (ال) الجنسية وأقسامها ودلالاتها ، لنا أن نسأل: هل تفيد (ال) العهدية الاستغراق ولو قليلاً ، أم لا تفيده مطلقاً ؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول : مما استعرضناه سابقاً يتبين أنّ الغالب في (ال) الجنسية أن تفيد الشمول والعموم وفي (ال) العهدية أن تفيد التحديد والخصوص .. وربما جاءت العهدية دالة على العموم بحسب السياق والمقام.

المبحث الثالث : لا النافية للجنس

لا : حرف نفي عام ، يفيد نفي جميع أفراد الجنس المُتصف به ، وهذا هو شرط عملها الأساسي . فإن انتقض هذا الشرط، انتقض عملها لانتقاض معناها وهو النفي العام .

واختصت (لا) هذه باسم لا التبرئة دون غيرها من حروف النفي، وسبب التسمية أوضحها صاحب شرح التصريح بقوله: ((وحقُ (لا) التبرئة أن تصدقَ على (لا) النافية كائنة ما كانت ، لأنّ كلَّ من برأتهُ فقد نفيت عنهُ شيئاً ، ولكنهم خصّوها بالعاملة عمل (إنّ) ، فإنّ التبرئة فيها أمكنُ من

---

[64] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في يوم الفطر :٢٠٢ .

[65] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) يوم الأضحى ويوم الجمعة: ٢٣٧ .

[66] ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ، د .فضل حسن عباس: 1/ ٣١٦ .

[67] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في يوم عرفة :٢١٥ .

غيرها ، لعمومها بالتنصيص))[68] أي: إنّها اكتسبت هذه التسمية لاختصاصها بالنفي وشبهها ب (إنّ) العاملة . وشروط عملها:

- ألّا تُكرر ، فإن كرّرت لم يتعيّن إعمالها ، بل هو جائز . ومثال تكرارها في الصحيفة السجادية قوله عليه السلام: (إلهي لا حولَ ولا قوةَ إلا بقدرتِكَ ، ولا نجاةَ لي من مكارهِ الدُّنيا إلا بعصمتِكَ)[69].
- أن يُقصد بها النفي العام ، لأنّها حينئذٍ تختص بالاسم ، فإن لم يُقصد بها العموم ، فتارةً تُلغى ، وتارةً تعمل عمل (ليسَ) .
- أن يكون مدخولها نكرةً ، كقوله φ: (ولا وسيلةَ لنا إليك إلا أنتَ)[70] ، ولا تعمل بمعرفة بإجماع البصريين ، لأنّ عموم النفي لا يُتصور فيها ، كذلك لأنّ النكرة أعمّ وأشمل من المعرفة . وخالفَ الكوفيون في هذا الشرط ، فأجازَ الكسائي إعمالها في العلم المفرد والمضاف لكنية[71]. ومما ورد دخولها على معرفة ولم تعمل قولهφ : (فلا الأبصارُ تثبتُ لرؤيتهِ ، ولا الأوهامُ تبلغُ كُنهَ عظمتِهِ)[72]، ومما جاء بهذا الصدد أيضاً قولهφ : (ولا أنا بقاضٍ وظيفة خدمتهما)[73] فجاء اسمها الضمير المعرفة (أنا) فلم تعمل فيه شيئاً .
- ألّا يفصل بينها وبين اسمها فاصل، فإن وجد بطل عملها، ومن أمثلة الفصل قوله عليه السلام (:ولا لهُ عندي يداً ، ولا بي إليهم حاجةً)[74] ومنه أيضاً (ما عندَ أحدٍ دونكَ دفاع، ولا بأحدٍ عن سطوتك امتناع)[75] .
- ألا يدخل عليها حرف جر، فإن دخل بطل عملها[76]، كقوله φ: (الحمدُ للهِ الأوّل بلا أوّلٍ كانَ قبلهُ ، والآخر بلا آخرٍ يكونُ بعدهُ)[77] و قوله عليه السلام (الأوّلُ بلا زوالٍ ، والدائمُ بلا فناءٍ والقائمُ بلا عناءٍ ، والمؤمنُ بلا نهايةٍ ، والمبدئ بلا أمدٍ، والصانعُ بلا أحدٍ)[78] .

بقيَّ لنا أن نُشيرَ إلى مسألة إعمال (لا) ((فإنّها لمّا قُصدَ بها التنصيص على العموم اختصت بالاسم ، لأنّ قصد الاستغراق ، على سبيل التنصيص ، يستلزم وجود (مِن) لفظاً ، أو معنًى . ولا

---

[68] شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري: 1/ ٣٣٦ .

[69] الصحيفة السجادية ، مناجاة الشاكين :٢٩٥ .

[70] المصدر نفسه ، مناجاة المطيعين لله: ٣٠٨ .

[71] ينظر : همع الهوامع ، السيوطي: 463/1.

[72] الصحيفة السجادية ، دعاء وتمجيد لهφ : ٢٦٦ .

[73] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) لأبويه: ١١١ .

[74] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) إذا أحزنه أمر وأهمته الخطايا: ٩٩ .

[75] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) إذا نظر إلى السحاب والبرق: ١٥٦ .

[76] ينظر: شرح التصريح: 3370/1.

[77] الصحيفة السجادية، إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه :١٩ .

[78] المصدر نفسه، دعاء وتمجيد له عليه السلام: ٢٦٧ .

يليقُ ذلك إلا بالأسماء النكرات ، فوجبَ ل (لا) عند ذلك القصد عملٌ فيما يليها))[79] ومثال ذلك قولهφ : (سُبحانكَ لا رادَّ لمشيّتك ، ولا مُبدّلَ لكلماتِكَ)[80] .

والتقدير : لا من رادٍ لمشيّتك ، ولا من مبدّلٍ لكلماتك . فإنّ (لا) أفادت الاستغراق هنا لصحة تقدير (من) الاستغراقية ومنهُ أيضاً قولهφ : (لا أمرَ لي معَ أمرِكَ ... ولا قوةَ لي على الخروجِ من سلطانِكَ)[81] والتقدير : لا من أمرٍ لي ، ولا مِن قوةٍ لي .

وذكرَ ذلك ابن يعيش: أنهم لمّا نصبوا بـ (لا) لم تعمل إلا في نكرة ، وإنّها بُنيت مع النكرة ، لأنها لما وقعت في جواب (هل من رجلٍ عندك) على سبيل الاستغراق ، وجبَ أن يكونَ الجوابُ أيضاً بحرف الاستغراق الذي هو (مِن) ليكون الجواب مطابقاً للسؤال ، فكانَ قياسُهُ (لا مِن رجلٍ في الدار) ليكونَ بذلك النفي عاماً كما كان السؤال عاماً ، ثم حُذفت (مِن) من اللفظ تخفيفاً ، وتضمّن الكلام معناها . فوجبَ أن يُبنى ما بعد (لا) لتضمنهِ معنى الحرف كما بُنيَ (خمسةَ عشرَ) حينَ تضمّنَ معنى حرف العطف [82] .

وللتوضيح أكثر نورد قولهφ : (ووعدُكَ الحقُّ الذي لا خُلفَ فيهِ ولا تبديلَ)[83] فيصح أن نُقدرَ (مِن)الاستغراقية بعد (لا) فنقول لا مِن خلفٍ ولا مِن تبديلٍ ، ودلالة الاستغراق والعموم واضحة بيّنة .

الأسماء المنفية ب (لا)

الأسماء المنفية في هذا الباب أربعة هي :

الأول : النكرة المفردة ، وهو أكثر ما ترد فيهِ (لا) وأكثرها إفادةً للاستغراق والعموم ، وهو غير متبوع أو مضاف ، مما وردَ منه قولهφ : (اللهمَّ لا طاقةَ لي بالجهدِ ، ولا صبرَ لي على البلاءِ ، ولا قوةَ لي على الفقرِ)[84] ومنه أيضا: (وأيقنَ أنّهُ لا محيصَ له منكَ ، ولا مهربَ له عنكَ)[85] كذلك قوله عليه السلام: (لقد وضعَ عنّا ما لا طاقةَ لنا بهِ)[86] فنلحظ أنّ مدخول (لا) جاء نكرة مفردة ، وقد استغرق جميع ما وقع عليه .

---

[79] الجنى الداني ، المرادي :291_292 .

[80] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في يوم عرفة: ٢١٠ .

[81] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) إذا أحزنه أمر وأهمته الخطايا: ٩٧ .

[82] ينظر : شرح المفصل لابن يعيش :1/ 263.

[83] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في الكرب والإقالة: ٢٧٢ .

[84] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) عند الشدة والجهد وتعسر الأمور :100_101 .

[85] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) في الاعتراف وطلب التوبة: ٥٧ .

[86] المصدر نفسه ، إذ ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه: ٢٣ .

الثاني: النكرة الموصوفة ، فإنّنا إذا وصفنا النكرة المنفية ب (لا) فلنا فيها ثلاثة أوجه: الأول منها– وهو الأحسن –: أن تجري الصفة على الموصوف ، وتنوّن الصفة . والوجه الثاني : أن تجعل المنفي ونعته اسماً واحداً وتبنيه معه ، فتقول : لا رجلَ ظريفَ في الدارِ ، بنيتَ رجل مع ظريف . والوجه الثالث : أن تجعلَ النعت على الموضع فترفع ؛ لأن (لا) وما عملت فيه في موضع اسم مبتدأ ، فتقول : لا رجلَ ، فتجري (ظريف) على الموضع فيكون موضع اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، وإن شئتَ جئت بخبرٍ فقلت : لكَ أو عندكَ .[87] ولا مثال لهما في الصحيفة.

الثالث : النكرة المضافة ، التنوين يسقط من كلِّ مضافٍ في هذا الباب وغيره ، فإذا نصبتَ مضافاً وأعملتَ (لا) نصبتهُ ، ولا بدّ من أن يكونَ ذلك المضاف نكرة ؛ لأن (لا) لا تعمل في المعارف ، والمضاف ينقسم في هذا الباب على قسمين : مضاف لم تذكر معه لام الإضافة ، ومضاف ذُكرت معه لام الإضافة . فأمّا المضاف المطلق ، فقولك : لا غلامَ رجلٍ لكَ . وأمّا المنفي بلام الإضافة ، فالتنوين والنون تقع في هذا الموضع.

الرابع : المضارع للمضاف ، هو ما كان عاملاً فيما بعده ، كما أنّ المضاف عامل فيما بعده فهو منصوب ، وما بعده يكون مِن تمامهِ ، كما أنّ المضاف مِن تمام الأول ، إلا أنّ التنوين يثبتُ فيهِ ولا يسقط منه . [88] نحو قوله عليه السلام (ولا غافلاً لإحسانِكَ فيما أبليتَني ، ولا آيساً مِن إجابتِكَ لي)[89]ومنه أيضاً قوله عليه السلام (ولا عائبةً أؤَنبُ بها إلا حسَّنتها)[90] ومنه أيضا: (لَا مُسْتَطِيلًا بِتَكَبُّرِ الْمُتَكَبِّرِينَ ، ولَا مُتَعَالِياً بِدَالَّةِ الْمُطِيعِينَ ، ولَا مُسْتَطِيلًا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ)[91] ، فاسم (لا) هنا شبيه بالمضاف وجاء منوَّناً ، وقد أفاد الاستغراق أيضاً.

دلالة (لا) النافية للجنس

تدخل (لا) النافية على المبتدأ والخبر ، وتعمل في المبتدأ النصب ، بشرط أن يكونَ نكرةً ، وأن يكونَ المقصود بها النفي العام ، والمنفي بها يكونُ نكرةً يُراد بهِ العموم والاستغراق . ولكن تدخل على المعرفة أو العلم ؛ لأن العلم إذا اشتهر بمعنى من المعاني ينزل منزلة الجنس الدالّ على ذلك المعنى . يذكرُ النحويون أنّ (لا) هذه نصّ في نفي الجنس ولا يُراد بها نفي الوحدة ، فحين تقول: (لا رجلَ هنا)نفيتَ أن يكون أحد من جنس الرجال هناك ، وقد استغرقتَ في نفيكَ جنس الرجالِ عامةً بخلاف قولكَ : (لا رجلٌ هنا) فإنّها محتملة لنفي الجنس ، ولنفي الوحدة ، وليست نصاً في أحدهما . وقد وهِمَ من

---

[87] ينظر : الأصول في النحو ، ابن السراج : 1/ ٣٨٢_٣٨٦ .

[88] ينظر : الأصول في النحو : 1/ ٣٨٧_ 390 .

[89] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) إذا أحزنه أمر وأهمته الخطايا: ٩٨ .

[90] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال: ٨٧ .

[91] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في يوم عرفة : 222 .

قالَ: إنّها لا تنفي إلا الوحدة ، بل هي لنفي الجنس برجحان ، فأنتَ إذا قلتَ: (لا رجلٌ هنا) احتملَ أن تكونَ نفيت جنس الرجال ، كما احتُملَ أن تكونَ نفيتَ واحداً من هذا الجنس ، فيصحُّ أن تقولَ: (لا رجلٌ هنا بل رجلانِ) ولا يصحُّ ذلك في (لا) النافية للجنس ؛ وذلك أنّ (لا) النافية للجنس جواب ل (هل مِن) فقولك: (لا رجلٌ) جواب في التقدير ل (هل رجلٌ) فأنتَ إذا سألت : هل مِن رجلٍ ؟ كان الجواب (لا رجلَ) بالفتح وإذا سألتَ : هل رجلٌ ؟ كان الجواب (لا رجلٌ) بالرفع .

والفرق بين التعبيرين أنّ ما فيهِ (مِن) هو نصٌّ في السؤال عن الجنس ، وما ليسَ فيهِ (مِن) يُحتمل أن يكون السؤال عن الجنس وعن الوحدة .

فاتضح أنّ (لا) التي للجنس من التعبيرات النصية ، وأنّ المشبهة ب (ليسَ) من التعبيرات الاحتمالية . فمن التعبيرات النصيّة نحو قولك: (ما جاءني من رجلٍ) وهو نصّ في نفي الجنس ، لأنّه لا يدلُّ على رجلٍ واحد بل على عموم الرجال .[92]

ومن الأمثلة على ما أوردنا قولهφ : (أفردتني الخطايا ، فلا صاحبَ معي ، وضعفتُ عن غضبكَ ، فلا مؤيدَ لي)[93] فليسَ المقصود هنا (صاحب) أو (مؤيد) بل استغراق جميع جنس أفراد الأصحاب والمؤيدين، ومن الاحتمالية بحسب الصنعة قوله φ: (مَا لَا قَلْبٌ فَكَّرَ فِيه ، ولَا لِسَانٌ نَطَقَ بِه ، ولَا جَارِحَةٌ تَكَلَّفَتْه)[94]، فتحتمل الجنس والوحدة، ولكنها هنا للجنس، أي: كل القلوب والألسن والجوارح.

المبحث الرابع : أسماء الشرط (مَن ،مَا ، مَهما)

أدوات الشرط من الأدوات التي تدلُّ على الاستغراق المباشر في الكلام الذي تدخل عليهِ ، والجانب الدال على العموم والاستغراق في أسماء الشرط يتضحُ في كونها أدواتٍ تحملُ دلالات الإحاطة والشمول باتفاق النحويين ، ولأجلِ هذا العموم صحَّ إعراب بعضها مبتدأ مع أنّها من النكرات المضمنة معنى الحروف[95].

وفيما يأتي سنتناول أسماء الشرط ودلالاتها :

---

[92] ينظر : معاني النحو : 361/1_ 365 .

[93] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) إذا أحزنه أمر وأهمته الخطايا: ٩٦ .

[94] المصدر نفسه، من دعائه φ إذا مرض أو نزل به كرب أو بلية: 76.

[95] ينظر : أساليب الاختصاص والاستغراق في اللسان العربي _ رسالة ماجستير _ لسميرة مسلم محمد: ٣٣٩ .

أولاً : مَن

من أدوات الشــرط التي تُفيد اســتغراق أفراد الجنس وعمومه ، وتســتعمل للدلالةِ على العاقل ، وتستوجب لعملها شرطين، الأول : تصدرها الكلام ، والآخر : وقوعها في جملتين لا يتمُّ معنى أُولاهما إلاّ بالثانية ، وتُسمى الأولى جملة الشرط ، والثانية جملة جواب الشرط ، و (مَن) لفظها واحد مذكر ، ومعناها معنى الجنس لإبهامها، وتقعُ على الواحد والاثنين والجماعة والمذكر والمؤنث ، فإذا وقعت على شــيءٍ من ذلك ، ورددتَ إليها الضـمير العائد من صـلتها ، أو خبرها على لفظِها نفسِـها ، كانَ مفرداً مذكراً؛ لأنّه ظاهر اللفظ ، سواء أردتَ واحداً مذكراً أو مؤنثاً أو اثنين أو جماعة وإن أعدتَ الضمير إليها على معناها ، فهو على ما يقصـدهُ المتكلم من المعنى[96]، فمثال ما أعيدَ إليه الضـمير على لفظه قوله φ: (إنّ مَن تقِهِ يسلمْ ، ومَن تهدهِ يعلمْ ، ومَن تقرّ بهِ يغنمْ) [97] فنلحظ أنّ جميع الألفاظ العائدة على (مَن) هي بلفظ الواحد المذكر .

دلالة (مَن)

تكون شرطاً للعاقل ، وتفيد استغراق أفراد العقلاء ، وبما أنّها متصدرة في الكلام فإنّها تُعرب مبتدأ إذا وقعَ بعدها فعل لازم ، نحو (مَن يقُمْ أقمْ معهُ) والأصح إنّ الخبر فعلُ الشرطِ لا فعل الجواب . أمّا إذا وقع بعدها فعل متعدٍ فإن كانَ واقعاً عليها فهي مفعول به ، وإن كانَ واقعاً على ضـميرها ، نحو (مَن رأيتهُ) أو متعلقها ، نحو: (مَن رأيتَ أخاه) فهي مبتدأ أو منصوبة بمحذوف مقدر بعدها يفسرها المذكور[98] ، ومن أمثلتها في الصـحيفة السـجادية التي أفادَت اسـتغراق جميع من وقعت عليه وعمومه من العقلاء: (مَنْ وَالَيْتَ لَمْ يَضْـرُرْهُ خِذْلَانُ الْخَاذِلِينَ ، ومَنْ أَعْطَيْتَ لَمْ يَنْقُصْـهُ مَنْعُ الْمَانِعِينَ ، ومَنْ هَدَيْتَ لَمْ يُغْوِهِ إِضْلَالُ الْمُضِلِّينَ)[99] .

ثانياً : مَا

اسم شرط جازم يُستعمل للدلالة على غير العاقل ، وهو يفيد عموم ما يدخلُ عليهِ وشموله فلا يقع على الشيء الواحد بعينهِ ، بل استغراق أنواعه جميعاً . وهي كـــ (مَن) لا تعمل إلاّ إذا تصدرت الكلام ودخلت على جملتين أولاهما: فعل الشـرط ، وثانيتهما: جوابه وجزاؤه ، فتعمل فيهما الجزم إعراباً والعموم معنى.

وأمّا كونها جزاءً ، فنحو: (ما تصـنعْ أصـنعْ مثلهُ) وحكمها في الجزاء في حصـرها الأسـماء ، ووقوعها عليها ، كحكمها في الاسـتفهام ، فإذا قلتَ: (ما تأكلْ آكُلْ) فتقديره : إن تأكلْ خبزاً ، أو إن

---

[96] ينظر : شرح المفصل: 2/ ٤١٠_٤١٥ .

[97] الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) لنفسه وأهل ولايته :٣٨ .

[98] ينظر : مغني اللبيب :٢/٥٣٨ ، وينظر : معاني النحو : 4/ 87_88 .

[99] الصحيفة السجادية من دعائه φ عند الصباح والمساء: 48.

تأكلْ لحماً ، أو غير ذلك مما يُؤكل ، فـ (ما) قامت مقام هذه الأشياء ، وأغنت عن تعدادها[100]، فهكذا هي في إفادتها للاستغراق والشمول .

ومن أمثلتها قولهφ : (وما زويتَ عني مِن مَتاعِ الدُّنيا الفانية فاذخرهُ لي في خزائنكَ الباقية)[101] ، فالمُلاحظ أنّ (ما) أفادت عموم ما وقعت عليه واستغراقه ، كذلك وقعت متصدرةً وعملت في جملتي فعل الشرط وجوابه .

دلالة (مَا)

تدلُّ (ما) على استغراق العموم فيما تدخل عليه من غير العقلاء ، نحو (ما تصنعْ أصنعْ) يعني ، أي شيءٍ تصنعهُ أصنعهُ ، فلم تتحدد بشيء معيّن . كذلك تدخل (ما) على صفاتِ العقلاء وتفيد شمولها أيضاً، نحو قولهφ : (وما تعدّيا عليَّ فيه مِن قولٍ ، أو أسرفا عليَّ فيهِ مِن فعلٍ ، أو ضيَّعاه لي من حقٍّ ، أو قصَّرا بي عنهُ مِن واجبٍ ، فقد وهبتهُ لهما وجِدتُ بهِ عليهما)[102] فالأفعال الواردة في القول أعلاه تدل على صفات العقلاء وهم الوالدان .

وهي أعمُّ مِن (مَن) لأنها مطلقة و (مَن) مقيدة ، إذ إنّها مختصة بالعقلاء ولا تكون لغيرهم إلا أن يكونوا مختلطين بالعقلاء ، وأمّا (ما) فهي لغير العقلاء ولصفات العقلاء أيضاً ، و (ما) تكونُ لغيرِ الآدميين ، نحو: (ما تركبْ أركبْ) فإن قلتَ: (ما يأتِني آته) تريد الناس لم يصلح لأنّ (ما)تكون لذوات غير الآدميين ، ولصفات الآدميين ، تقولُ : مَن عندكَ ؟ فيقولُ : زيدٌ ، فتقولُ : ما زيد؟ فيقولُ : جوادٌ أو بخيل . أو نحو ذلك ، فإنما هو للسؤال عن نعت الآدميين[103] .ومن أمثلتها قوله φ: (ومَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ أَذًى ، أَوْ خَلَصَ إِلَيْهِمَا عَنِّي مِنْ مَكْرُوه ، أَوْ ضَاعَ قِبَلِي لَهُمَا مِنْ حَقٍّ فَاجْعَلْه حِطَّةً لِذُنُوبِهِمَا ، وعُلُوّاً فِي دَرَجَاتِهِمَا ، وزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمَا)[104] وهي نادرة الذكر في الصحيفة.

---

(100) شرح المفصل لابن يعيش: 415/2.

(101) الصحيفة السجادية، من دعائه (ع) في المعونة على قضاء الدَّين ١٣٢ .

(102) المصدر نفسه ، من دعائه (ع) لأبويه: ١١١ .

(103) ينظر : المقتضب ، المبرد: 2/ ٥٢ ، ومعاني النحو : 4/ 85_86 .

(104) الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) لأبويه: ١١١ .

ثالثاً : مَهما

مهما : اسم شرط جازم ، يُستعمل للدلالة على غير العقلاء كـ (ما) وهو أيضاً كسابقيهِ: (مَن و ما) يفيد استغراق عموم ما يدخلُ عليهِ . ولا يعمل إلا إذا تصدر الكلام ، ودخلَ على جملتين أولها فعل الشرط التي تستلزم وجود الثانية وهي جواب الشرط وجزاؤه .

ومن الأمثلة الواردة عليها قولهφ : (فمَهما رأيتَ في نفسِكَ ما يعجبُكَ فاعلم أنَّ أباكَ أصلُ النعمةِ عليكَ فيهِ)[105] فنلحظ أنّ (مَهما) جاءت متصدرة واستلزمت وجود فعلين: فعل الشرط وفعل جواب ، كما أنّها أفادت الاستغراق والشمول ومعناها (أي شيءٍ رأيتهُ في نفسكَ وأعجبكَ) .

دلالة (مَهما)

يدخل اسم الشرط (مهما) على ما لا يعقل فيفيد استغراقهُ لجميع أنواعه وأجناسهِ ، وباستعمال (مَهما) في الجملة يُغني عن التعداد والتفصيل للأشياء. وهي بمعنى (ما) وقيل: أعم منها، ولها ثلاثةُ معان :

أحدها : ما لا يعقلُ غير الزمان مع تضمن معنى الشرط .

الثاني : الزمان والشرط ، فتكون ظرفاً لفعل الشرط .

الثالث : الاستفهام[106] .

وقد يقع المستقبل بعد أداة الشرط بلفظ الماضي ، مع أنّ الموضع للمستقبل وأنّ الأداة تدلُّ على الاستقبال فعدلوا إلى الماضي ، كقوله φ: (ومهما توارى عنا من حجب الغيوب عندك ، وتوليت طي علمه عن عبادك ، وكان في خزائن أمرك ، ولم تنزله في تأويل لديه في كتابك ، وخانتنا الصفات ، وكلت الألسن دون عبارته ، فلم تهتد القلوب إلى منازلك فيه من فضل عطاء تؤتيه ، وذخيرة كرامة توصلها إليه ، وتهطل سماؤها عليه، فأعط محمدا من ذلك حتى يرضى)[107] ، لأنّه أخفّ ، وهي أيضاً غير مطردة ولا مستقلة ، وقيل: عدلَ إلى المستقبل هنا إلى صيغة الماضي ، إشارةً إلى نكتةٍ بديعة وهي :تنزيل الشرط بالنسبةِ إلى الجزاءِ منزلة الفعل الماضي ، فإنّ الشرط لا يكون إلا سابقاً للجزاء متقدّماً عليه ، فهو ماضٍ بالإضافة إليه[108] .

---

[105] الصحيفة السجادية ، حق الأب: ٣٤٤ .

[106] ينظر : مغني اللبيب :1/ ٣٦٢_٣٦3 .

[107] الصحيفة السجادية في الصلاة على النبي: 36.

[108] ينظر : بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية: 1/ ١٨٣_١٨4 .

المبحث الخامس : الأسماء الموصولة (مَن ، ما)

تُشبه كثيرا الأسماء الشرطية ، ذلك لكونها تفيد الاستغراق والعموم ولكن بطريق غير مباشرٍ ، بل يعتمد في الغالب على المعنى الذي تؤدي إليه ، وما ندركه من القصد الذي ترمي إليه ، فالاستغراق ليسَ ملازماً لها في كلِّ أحوالها وصورها وإنّما نستدلُّ عليه في استعمالاتٍ معينة .

وتجدرُ الإشارة إلى أنّ دخول الفاء على خبر الأسماء الموصولة يؤكد إفادتها للشمول والاستغراق ، وذلك ما عناهُ ابن مالك بقوله: ((إنّ المبتدآت تُشبه أدوات الشرط ، فتقترن بالفاء جوازاً وذلك إمّا موصول بفعل لا حرف شرط معه أو بظرف وإمّا موصوف بهما، أو مضاف إلى أحدهما ، وإمّا موصوف بالموصول المذكور بشرط قصد العموم ، واستقبال معنى الصلة أو الصفة))[109] وذلك نحو قوله عليه السلام: (اللهمَّ قد تعلمَ ما يُصلحني من أمرِ دنياي وآخرتي ، فكن بحوائجي حفيّا)[110] فنلحظ دخول الفاء على خبر الاسم الموصول(ما) مما أكد إفادته للعموم والشمول .

والآن سنتناول الأسماء الموصولة (مَن ، ما) من الناحية النحوية والدلالية :

أولاً : مَن

هو اسم موصول يقع على مَن يعقلُ خاصةً ، وحكمها في الصلةِ كحكم (الذي) و (التي) وتكون بمعناها، ولفظُها مذكرٌ يُستعملُ في الواحد والاثنين والجمع والمؤنث على لفظٍ واحدٍ ، فإذا وقعتْ على الاثنين والجماعة والمذكر والمؤنث ، فإن شئتَ حملتَ الكلام على لفظِها فوحّدتَ ، وإن شئتَ حملتهُ على معناها ، فثنيتَ وجمعتَ وأنثتَ ، تقول : مِنَ النساءِ مَن قامَ ، على لفظ (مَن) وإن شئتَ : مِنَ النساءِ مَن قامَت ، على المعنى[111].

فمثال الحمل على اللفظ قولهφ : (ويا غايةَ آمالِ المحبينَ أسألُكَ حبّكَ وحبَّ مَن يحبُّكَ)[112] فنلاحظ أنّ الفعل الموصول ب (مَن) يدلُّ على المفرد المذكر ؛ لأن الكلام حُملَ على اللفظ .

ومثال الحمل على المعنى قوله عليه السلام: (اللهمَّ اجعلنا ممّن دأبُهم الارتياحُ إليكَ والحنين)[113] فنلاحظ هنا أنّ الفعل دال على الجمع وذلك لملائمة معنى (مَن) وفي كِلا القولين المتقدمين نتبينُ أنّ المراد عموم الجنس المستفاد من الاسم الموصول (مَن) الذي أفاد الاستغراق . ومنهُ أيضاً قولهφ : (

---

(109) شرح الكافية الشافية: 1/ 374.

(110) الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) عند الشدة والجهد وتعسر الأمور: ١٠٣ .

(111) ينظر : التبصرة والتذكرة ، الصيمري: 1/ 250_251.

(112) الصحيفة السجادية ، مناجاة المحبين: ٣١٤ .

(113) الصحيفة السجادية ، مناجاة المحبين: ٣١٣ .

تشكرُ مَن شكرَكَ وأنت ألهمتَهُ شكركَ ، وتكافئ مَن حمدَكَ وأنتَ علمتَهُ حمدَكَ)[114] أي : جميع الذين شكروا الله وحمدوه وليس أحداً بعينه ، فأفادت (مَن) في هذا الموضع الاستغراق الدال على العموم والشمول .

دلالة (مَن)

تختصُ (مَن) بأولي العلم سواء كانت موصولة ، أم استفهامية ، أم شرطية . وتعدُّ من الألفاظ المشتركة ، لأنّها تؤدي عدة معانٍ بلفظٍ واحدٍ ، فتستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث .

تؤدي (مَن) معنى الاستغراق فيما تدخلُ عليهِ مما يدلُّ على العقلاء وغير العقلاء أحياناً ، ولكن دلالتها على العموم تكون بطريقة غير مباشرة ، إلاّ إذا تفحصتَ المعنى جيداً ووجدتهُ يقع على الجميع وليس على شخصٍ بحد ذاته ، فعندئذٍ تكونُ قد أفادت عموم الجنس وشموله .

والجدير بالذكرِ أنّ (مَن) لا تقع على غير العاقل إلاّ في مواضعٍ:

- أن ينزل غير العاقل منزلة العاقل ، كقوله φ: (لَكِنْ لِتَسْمَعَ سَمَاؤُكَ ومَنْ فِيهَا وأَرْضُكَ ومَنْ عَلَيْهَا مَا أَظْهَرْتُ لَكَ مِنَ النَّدَمِ)[115] .
- أن يجتمعَ غير العاقل مع العاقل في عموم ، كقوله φ: (وتَجْتَمِعُ عَلَى صَلَاةِ كُلِّ مَنْ ذَرَأْتَ وبَرَأْتَ مِنْ أَصْنَافِ خَلْقِكَ)[116] .
- أن يقترنَ غير العاقل مع العاقل في عموم فُصلَ ب (من)[117] .

ثانياً : مَا

تكون موصولة بمعنى (الذي) وهي مبهمةً ، لأنّها تحتاج إلى صلة تأتي بعدها تفسرها وتُبين مقصدها ، وهذا الاسم الموصول يكونُ مبنياً على السكون لاحتياجه في تمامهِ اسماً إلى جملةٍ بعدهُ تُوضحهُ ، فوجبَ بناؤه ، لأنّه صار كبعضِ الكلمةِ ، وبعض الكلمة لا يستحقُ الإعراب ، أو لأنهُ أشبه الحرف من حيث إنّهُ لا يفيد نفسَهُ ، ولا بدَّ من كلامٍ بعده ، فصارَ كالحرفِ الذي لا يدلُّ على معنى في نفسهِ ، إنّما معناهُ في غيرهِ .

تقعُ (ما) على ذواتِ ما لا يعقل وتفيد استغراق جنسها ، ولكن ليسَ في جميعِ حالاتها ، بل بحسب المعنى الذي تؤدي إليه والسياق الذي ترِدُ فيه ، فيكون استغراقها غير مباشر، وسنبينُ ذلك من خلال الأمثلة الآتية : قال (ع) : (أن تمنَّ عليَّ من عطائِكَ بما تقرُّ بهِ عيني ، ومن رجائكَ بما تطمئنُّ

---

[114] المصدر نفسه ، من دعائه (ع) في وداع شهر رمضان: ١٨٨ .

[115] الصحيفة السجادية، من دعائه (ع) في ذكر التوبة: 144 .

[116] الصحيفة السجادية من دعائه (ع) يوم عرفة: 216.

[117] ينظر : معاني النحو: 1/ ١٢٩ ، والنحو العربي أحكام ومعانٍ :146/1.

بهِ نفسي ، ومن اليقينِ بما تهوّنُ به عليَّ مصيباتِ الدنيا)[118] فمن المعروف أنّ عطاء الخالق عزّ وجلّ ورجاؤه لا يتمثل بشيءٍ واحد ، بل هو شامل وجامع لكلِّ أجناس العطايا والنعم ، ونلحظ في هذا القول أيضاً دخول حرف الجر (الباء) على الاسم الموصول (ما) فلم يغيّر من حقيقتهِ شيئاً. ومنهُ أيضاً قوله (ع): (يا عليماً بما في السّرِ)[119] أي : عليم بكلِّ ما يضمره الإنسان في سرهِ ، فدلَّت (ما) على العموم والاستغراق كذلك .

دلالة (ما)

تقعُ (ما) على ذواتِ ما لا يعقل وعلى صفاتِ مَن يعقل ، وهي مثل (مَن) تقع على المفرد والمثنى والجمع ، نحو: (أعجبني ما صنعتَهُ وما صنعتهما وما صنعتهنَّ) وهي اسمٌ موصول مبني على السكون ، فالفرق بين (ما) و (مَن) أنّ (مَن) مختصةٌ بالعقلاءِ ولا تتفرد لغيرِ العقلاء إلاّ على سبيل تنزيلهُ منزلة العاقل، وأمّا (ما) فهي تُستعمل للدلالة على ما لا يعقل ولصفاتِ العقلاء ومن هذا يظهرُ أنّ (ما) أوسعُ استعمالاً مِن (مَن) وأكثرُ إبهاماً منها [120]، حتى أنّها تقعُ على كلِّ شيءٍ ، وتقع على ما ليسَ بشيءٍ ، ألا تراكَ تقول: (إنّ اللهَ يعلمُ ما كانَ وما لم يكن) ولفرط إبهامها لم يجُز الإخبار عنها حتى توصل بما يوضحها ، واعلم أنّه لا يجوز أن توجد إلاّ موصولةً لإبهامها ، أو موصوفةً ، ولا يجوز أن توجد إلاّ واقعة على جنسٍ تتنوع منهُ أنواع ، لأنها لا تخلو من الإبهام أبداً ، ولذلك كان في لفظِها ألف آخرة ، لِمَا في الألف مِن المدِّ والاتساعِ في هواء الفم ، مشاكلةً لاتساع معناها في الأجناس . فإذا أوقعوها على نوعٍ بعينهِ ، وخصّوا به مَن يعقل وقصروها عليه ، أبدلوا الألف نوناً ساكنة ، فذهبَ امتداد الصوت، فصارَ قصراً للفظِ موازناً لقصرِ المعنى [121].

وتستعمل (ما) للعاقل في مواضع: إذا اختلط العاقل مع غير العاقل، كقوله φ: (أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَتِ الأَشْيَاءُ كُلُّهَا بِجُمْلَتِهَا لَكَ : سَمَاؤُهَا وأَرْضُهَا ، ومَا بَثَثْتَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا)[122] ،ومع صفات العاقل، كقوله φ: (واسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي)[123] ، وما أبهم أمره، ولم يرد له مثال في الصحيفة [124] .

---

[118] الصحيفة السجادية ، مناجاة الراجين :٣٠١ .
[119] المصدر نفسه ، مناجاة التائبين: ٢٩٣ .
[120] ينظر : النحو العربي أحكام ومعانٍ: 1/ ١٤٧ .
[121] ينظر : بدائع الفوائد: 1/ ٢٣٠_٢٣١ .
[122] الصحيفة السجادية من دعائه (ع) عند الصباح والمساء: 50.
[123] الصحيفة السجادية من دعائه (ع) في مكارم الأخلاق: 92.
[124] التبصرة والتذكرة : 1/ 97 .

المبحث السادس : النكرة في سياق النفي

قبل الخوض في مسألة إفادة النكرة في سياق النفي للعموم والشمول ، لا بدَّ أولاً من الوقوف على مفهوم (النكرة) و (النفي) أيضاً . فالنكرة ((كلُّ اسمٍ لا يخصُّ واحدٍ بعينهِ في أصلِ موضوعهِ كقولكَ :رجلٌ ، لا يخصُّ واحداً بعينهِ من جنسـهِ دون آخر ، كما يخصُّ زيدٌ وهندٌ ، وكذلك فرس لا يخصُّ واحداً بعينهِ))[125] .

والنفي ((ما لا ينجزمُ ب (لا) وهو عبارة عن الإخبار عن تركِ الفعل))[126] . ونستنتج من هذين التعريفين أنّ معنى النكرة في سياق النفي : هي اللفظ الذي لا يخصُّ واحداً بعينهِ في أصل الوضع ، إذا تقدمتهُ أداةً من أدوات النفي ، نحو : لم ، لا ، لن ، ليسَ ، ما . والنكرة في سياق النفي تعمُّ سواءً باشرها النفي ، نحو : ما أحدٌ قامَ ، أو باشرَ عاملها نحو : ما قامَ أحدٌ [127] .

فالنكرة الواقعة في حيز النفي تفيد العموم والاستغراق ((فمن المعروف أنّ الشمول يأتي من سياق المبهمات الدالة على الجنس ، والنكرة هنا دالة على الجنس مفيدةً للعموم الشمولي))[128] ومن مسوغات الابتداء بالنكرة ((أن تكون عامّةً إمّا بذاتها كأسماء الشرط والاستفهام أو بغيرها ، نحو : ما رجلٌ في الدارِ ، وهل رجلٌ في الدارِ))[129] فنلحظ أنّ الحكم شمِلَ كلّ فردٍ من أفراد الجنس .

ولتوضيح إفادة النكرة في سياق النفي الشمول والعموم نورد الأمثلة الآتية من كلامه عليه الصلاة والسلام: (بقدرتهِ التي لا تعجزُ عن شيءٍ وإن عظُمَ ، ولا يفوتها شيء وإن لطفَ)[130] فـ (شيء) هو أعمُّ الأسماء النكرة التي تدلُّ على الشياع والعموم ، فليسَ هناكَ شيء في الوجود تعجز قدرة الخالق عزّ وجلّ عنهُ ، ونحو قولهφ : (حتى لا تفوتنا حسنةٌ نستحقُ بها جزاءَكَ ، ولا تبقى لنا سيئةٌ نستوجبُ بها عقابَكَ)[131] فالنكرة الواقعة في حيز النفي (حسنة) أفادت استغراق جنس الحسنات و(سيئة) أفادت أيضاً عموم جنس السيئات . وقوله عليه الصلاة والسلام أيضا: (لقد وضعَ عنّا ما لا طاقةَ لنا بهِ)[132]. فـ (طاقة)جاءت هنا مستغرقة لجنسها ، لأنها وقعت في حيز النفي ، فأفادت الشمول .

---

(125) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(126) المصباح المنير ، الفيومي: 245/2 (نفي).

(127) ينظر : الأحكام الفقهية المبنية على عموم النكرة في سياق النفي في القرآن _ رسالة ماجستير، إنصاف بنت حمزة الفعر: ٤٣ .

(128) أساليب الاختصاص والاستغراق في اللسان العربي : ٣٨٦ .

(129) مغني اللبيب: 541/2 .

(130) الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في الصلاة على رسول الله: ٢٥ .

(131) المصدر نفسه ، من دعائه (ع) في الاشتياق إلى طلب المغفرة: ٥٢ .

(132) المصدر نفسه ، إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه :٢٤ .

دلالة النكرة في سياق النفي

يستدل على إفادة النكرة في سياق النفي لعمومِ الجنس واستغراقه أنها((إذا كانت النكرة في حيز النفي أو شبههُ كانت دلالتها على العموم أرجح ، وذلك نحو قولك: (ما جاءَني رجلٌ) فالراجح أنّكَ تريد :لم يجئكَ أحدٌ من هذا الجنس . وربما دلَّ بوجه مرجوح على أنّ المعنى : لم يجئكَ رجلٌ واحدٌ بل أكثر .فإن قلتَ (ما جاءَني رجلٌ بل رجال) دلَّ ذلك على إرادة النفي الواحد نصّاً))[133] فنلحظ من الكلام المتقدّم أنّ النكرة إذا جاءت في سياق النفي كانت إفادتها للاستغراق أكثر مما لو كانت مثبتة . وهذا ما نلاحظه في قوله عليه الصلاة والسلام: (لم يَثنِهِم ريبٌ في بصيرتِهِم ، ولم يختلجهُم شكٌّ في قفوِ آثارِهم)[134]فالمراد عموم الجنس المستفاد من النكرةِ المذكورة (ريب ، شكّ).

ومن الأدلة العقلية على إفادة النكرة في سياق النفي للعموم والشمول ، أنّه يصحُّ استثناء كلّ فردٍ من أفراد ذلك المنفي عنه ، والاستثناء من الكلام هو : ما لولاه لدخلَ فيهِ ، فيلزمُ دخول كلّ فردٍ من أفراد ذلك المنفي تحت ذلك المنفي .[135] ومما وردَ منهُ قوله عليه الصلاة والسلام: (إلهي ليسَ لي وسيلةٌ إليكَ إلاّ عواطفُ رأفتكَ ، ولا لي ذريعةٌ إليكَ إلاّ عوارفُ رحمتكَ)[136] .

فالمقصود هنا ليس وسيلةً واحدةً ، بل جميع الوسائل بدليل أنّه (عليه السلام) استثنى (عواطف رأفتك)منها كذلك بالنسبةِ إلى كلمةِ (ذريعة) فإنّه لم يقصد الواحد بل قصد الجنس المستفاد بدليل المستثنى منها.

الخاتمة:

بعد رحلة ماتعة مع كلام المعصوم (ع)، فزنا بالأجر إن شاء الله تعالى فضلا النتائج الآتية:

1- أدّتْ ألفاظ العموم المباشرة (كلّ وأخواتها) وظيفة مهمة في أدعية الإمام (عليه السلام) ومناجياته ، فليسَ هناك دعاء يكاد يخلو من هذه الألفاظ ، لتدلل على ما أرادهُ (عليه السلام) من إيقاع حديثه موقع العموم والشمول بطريقةٍ مباشرةٍ ، وخاصةً في مواضع بيان فضل الخالق (عزّ وجلّ) وعطائه.

2- وردَتْ الأسماء المعرّفة ب (ال) الجنسية بكثرةٍ في الصحيفة السجادية وقد تطلّبَ المقام ذلك ، وإنّما اختار (عليه السلام) التعريف ب (ال) هذه ، بناءً على أنّه المتبادر الشائع لا سيما

---

(133) النحو العربي أحكام ومعانٍ: 82/1 .

(134) الصحيفة السجادية ، من دعائه (ع) في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم :٣٥ .

(135) ينظر : الأحكام الفقهية المبنية على عموم النكرة في سياق النفي في القرآن:٥٤ .

(136) الصحيفة السجادية ، مناجاة المتوسلين :٣١٤ .

عند خفاء القرائن ، فإنّ المحلى بالألف واللام الجنســية في المقامات الخطابية يتبادر منه الاستغراق.

3- (لا) النافية للجنس من أكثر الألفاظ شـيوعاً وورواداً في كتاب الصـحيفة السـجادية لأهميتها ووضـوحها في إفادتها لاسـتغراق الجنس ، إذ دلّت على اسـتغراق المعاني النفسـية أكثر من الأشياءِ الحسية.

4- (من وما ومهما) من أقل أدوات الاستغراق وروداً في الصحيفة.

5- تضمّنت الصحيفة السجادية وسيلةً أخرى من وسائلِ الاستغراق ولكن بصيغة غير مباشرة ألا وهي الأسـماء الموصـولة ، إذ إنّ القارئ لا يصـلُ لدلالة العموم والشـمول إلاّ من خلال إدراكه للمعنى الذي جاءت من أجله ، والسياق الذي وردَتْ فيهِ .

6- قد عرفنا في هذا البحث أنّ النكرة بحد ذاتها هي لفظٌ شــائعٌ في جنســهِ ،وليس محدوداً أو مخصصاً ، وإذا ما دخلت في حيّز النفي فإن دلالتها على العموم والشمول تكون أقوى وأوسع . فكان أثر وسيلة الاستغراق هذه واضحاً ومهماً في التنبه على أنّ المقصود لم يكن فرداً بحد ذاتهِ ، بل كان القصد جميع مَن وقعت عليهِ النكرة المنفية هذه .

المصادر والمراجع

أ _ الكتب المطبوعة:

1- الأصــول في النحو ، ابن الســراج ت ٣١٦ تحقيق : الدكتور عبد الحســين الفتلي ، مؤسسة الرسالة _ بيروت ط٣ ١٩٩٦ م .
2- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ت ٧٥١ تحقيق : علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع د.ط ، د.ت .
3- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) الدكتور فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع _ الأردن ط٢ ١٩٨٩ م .
4- التبصـرة والتذكرة ، الصـيمري (من نحاة القرن الرابع) تحقيق : الدكتور فتحي أحمد مصطفى ، دار الفكر دمشق ط١ ١٩٨٢ م.
5- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، أبو حيان الأندلسي ت ٧٤٥ تحقيق : الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم _ دمشق ، ط١ ٢٠٠٢ م.
6- الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي ت ٧٤٩ تحقيق : الدكتور فجر الدين قباوة والدكتور محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ،بيروت _ لبنان ط١ ١٩٩٢ م.

7- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، عبد الرسول الأحمد نكري ، ت القرن ١٢ عرّبه من الفارسية : حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ط١ ٢٠٠٠م .

8- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك ، ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين بن مالك ، ت٦٨٦ تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ٢٠٠٠ م .

9- شرح التسهيل ، ابن مالك ، ت ٦٧٢ تحقيق : الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر ، ط١ ١٩٩٠ م.

10- شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري ، ت ٩٠٥ تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ٢٠٠٠ م .

11- شرح جمل الزجاجي : ابن عصفور الإشبيلي ، ت ٦٦٩ قدم له و وضع هوامشه : فواز الشعار ، إشراف الدكتور إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ١٩٩٨م.

12- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، الرضي الأستراباذي ت ٦٨٦ وضع هوامشه وفهارسه : الدكتور إميل يعقوب ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت _ لبنان ، ط١ ٢٠٠٦ م .

13- شرح الكافية الشافية ، ابن مالك ت ٦٧٢ جمعهُ وقدم له : الدكتور عبد المنعم أحمد هريري ، دار المأمون للتراث _ السعودية ، ط١ ١٩٨٢م .

14- شرح المفصل للزمخشري ، ابن يعيش الموصلي ، ت ٦٤٣ وضع هوامشه وفهارسه : الدكتور إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان ، ط١، ٢٠٠١م .

15- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ت ٣٩٣ تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار الحديث _ القاهرة ط٣ ١٩٨٠م.

16- الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام(ت: 94هـ)، مطبعة الهادي، قم، إيران، 1418هـ.

17- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي اليمني ت ٣٤٩ مطبعة المقتطف _ مصر ط١ ١٩١٤ ، م

18- الكتاب ، سيبويه ت ١٨٠ تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي _ القاهرة ط٣ ١٩٨٨ م.

19- اللامات ، الزجاجي ت ٣٣٧ تحقيق : مازن المبارك ، دار الفكر للطباعة والتوزيع _دمشق ط٢ ١٩٨٥.

20- اللمع في العربية ، ابن جني ت ٣٩٢ تحقيق : الدكتور سميح أبو مُغلي ، دار مجدلاوي للنشر _ عمان ، د.ط ١٩٨٨ م.

21- معاني النحو ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، الناشر : شركة العاتك للطباعة والنشر _القاهرة ، ط٢ ٢٠٠٣ م .

22- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت _ لبنان ، د.ط ١٩٩١ م.

23- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، الشاطبي ت ٧٩٠ تحقيق : الدكتور محمد إبراهيم البنا ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى _ مكة المكرمة ط١ ٢٠٠٧ م.

24- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا(ت:395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

25- المقدمة الجزولية في النحو ، أبو موسى بن عبد العزيز الجزولي ت ٦٠٧ تحقيق : الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد ، مطبعة أم القرى ، د.ط ، د.ت.

26- النحو العربي أحكام ومعانٍ ، الدكتور محمد فاضل السامرائي ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ط١ ٢٠١٤م.

27- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، ت ٩١١ تحقيق : الأستاذ عبد السلام محمد هارون والدكتور عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة _ بيروت ، د.ط ١٩٩٢ م.

ب _ الرسائل والأطاريح الجامعية :

28- الأحكام الفقهية المبنية على عموم النكرة في سياق النفي في القرآن (رسالة ماجستير) إعداد الطالبة إنصاف بنت حمزة الفعر ، جامعة أم القرى _ مكة المكرمة ١٩٩٩ .

29- أساليب الاختصاص والاستغراق في اللسان العربي (رسالة ماجستير) إعداد الطالبة : سميرة مسلم محمد ، جامعة أم القرى _ مكة المكرمة ١٩٨٥ .

30- التوابع في نهج البلاغة دراسة نحوية دلالية (رسالة ماجستير) إعداد الطالبة : وداد حامد السلامي ، كلية الآداب _ جامعة الكوفة ٢٠٠٧ .